# الحسناء

الجزء العاشر المجلد الثاني

بيروت شهر نيسان سنة ١٩١١

## كاترين برشكوفاسكا

قرأت في احدى المجلات الاميركية ما نصه « ان كاترين برشكوفاسكا مقرّ الثورة الروسية ومحجة الاشتراكيين في بلادها التي وقفت قلبها وكرّست حياتها لحصول على الدستور والتمتع بنعمة الحرية وتحرير الفلاحين البسطاء من ربقة ظلم الامراء قد اتت نيويورك منذ بضعة ايام وهي لا تنفك تخطب في كل ناد بين الجماهير والجماعات مظهرة احوال روسيا الداخلية فقامت الصحف الاميركية تبيّ بحلولها وتفتح صدرها الفسيح مرحبة باقوال الزائرة الكريمة

وهذه بضعة اسطر بقلم ارنست بول اتظهر بسالتها وثباتها على مبدئها الشريف بالرغم عما صادفته من ضروب العذاب في سيبيريا وثقل وطأة المستبدين ومهارة الجواسيس في روسيا وهذا ملخصها. « ان كاترين برشكوفاسكا ابنة رجل مثري كريم حكم عليها بالاشغال الشاقة والنفي نحو ربع قرن بين ثلوج روسيا وشبابها البيض وقد انتهت مدتها التي في اثنائها احتملت مشقات بنود تحت اعبائها رضوى وقاست من اليم الجور ما قاست وعادت من منفاها غير عابئة بما يجري لها ولا مكترثة بما كابدته من الاهوال فلم يكن ذلك البرد القارس الا ليبعث في صدرها روح الازدراء والسخرية بالنفي والمنافي وليودع ما بين جنبيها ناراً آكلة تهلع طولها

نفوس المستبدين الظالمين وكأنّ اتعاب الاشغال الشاقة جدّدت قواها الادبية ونبهت افكارها الى واجباتها فقابلت اتعابها بعزم ثابت لا يعرف الملل وهمة قعساء لا يدنو منها كلل وقد بلغت الحادية والستين من العمر ولا تزال دائبة في عملها مستقبلة اكليل شيخوختها بثغر يبتسم سروراً وقلب يرقص حبوراً لان آمالها في المستقبل انستها كل اتعابها

وكم قوم انسوا ما كابدوه من الاهوال في زمن الشباب
وآمال لهم أحيت نفوساً تقلل ما اشمخرّ من الصعاب

فآمالها سهلت امامها العقبات وجرّأتها على طلب الدستور مع ان الاخطار والتهديدات احدقت بها من كل جانب وما حمل ذلك الاّ لأنها تعتقد انه لا بد من ان تنهض تلك الملايين المظلومة بعد وقت قصير روح واحدة وساعد قوي لتحطم قيود العبودية والظلم وتمرح بنعمة الحرية تحت حماية الدستور واليك ما قاله الى احد الاميركيين اثناء حضورها الى نيويورك ... «اننا نحن الاحرار الروسيون سئمنا الاوامر الظالمة وتحرير روسيا من هذا الاستبداد آه الى متى يظلم الانسان اخاه ؟ أطال الله ظلم الانسان الانسان

انظر الى هذه الآباء التي لحقت بي من زملائي الثائرين فهي لا تبرح من افكاري ان ليلاً او نهاراً في يقظتي او عند اكلي وشربي وحتى لا تنفك تمثل خيالات الحرية المحبوبة تروح وتغدو امامي خيالات اوشكت ان تخلعني من خيالاتكم ايها الاميركيين لان الدهر قد اكل على راسها وشرب»

ومما يدهش جداً وجود نساء يقوون على احتمال الاخطار والاحزان والصعوبات كالتي احتملتها هذه مدة حياتها فبعد الدرس الطويل والبحث الدقيق ايام نفيها استقصت سرّ انحطاط حياة الفلاح الروسي التاعس واكدت انه لو عتق

ذلك المخلوق من عبودية سيده فطالب مبدأ آخر يملكه لانه لم يالف الاحياء العبودية وهنا ما حرك علقة الشفقة في قلب برشكوفاسكا حتى انها استغنمت الفرص لترفع حياة الفلاحين فتزيت بزيهم مع انها ميسورة ونلذذت باحاديثهم التافهة مع ان عقلها ارقى من عقولهم بدرجات فالفت جمعيات عديدة وكثيراً ما كانت تذهب الى الاجتماعات الليلية في تلك الاكواخ الحقيرة . وقد وصفت اجتماعاً بهذا الكلام ..

« اجتمعنا مرة في احد البيوت المصنوعة من الاخشاب المطلية بالطين وارضه مغطاة بلبن كثير الغبار صيفاً والاقذار شتاء يكاد راس الداخل اليه يمس السقف وكان ذلك البيت لفلاح شجاع اصطفيته دون سواه لما كان فيه من الجسارة والجرأة ولانه دفع بنفسه مراراً كثيرة الى التهلكة حباً بالحرية وحسبه شجاعة انه سمح بعقد اجتماعات كهذه في منزله الخاص وكان يوم هذا البيت في مثل هذه الاوقات عدد ليس بقليل من اولئك الفلاحين لم تقو على اذلالهم بلاد سيبيريا باسامتهم من ادران الضيم وانكال الجور والذين آثروا اثقالها الشاقة على حمل نير العبودية في روسيا اوطن المحبوب مثل هؤلاء . كنت احدث وفيهم ابث روح الاستقلال والحرية فاعدت على مسامعهم ذكر تلك الضربات المؤلمة وذكرت النساء بوت رجالهن تحت السياط او بين انوح سيبيريا فمات ضحية من الفريقين وايما ضجة لا يخالها السامع الا صدرت من مجموع حيوانات برية حتى ان التيران المربوطة في مزاريها قرب البيت شرعت تخور لانها شعرت معنا بثقل وطأة الامراء فوددت مساعدتنا بقدر امكانها فارغمناها على السكوت ثم استانفت الكلام بقولي ان اللوم كل اللوم عليكم ايها الفلاحون فلماذا ترضون ان تاخذوا قطعاً صغيرة من الاراضي الجدبة والامراء يملكون اكثر الاراضي واجودها

يا قوم الا تنالون السعادة والرغد في حياتكم ما لم تمتلكوا الاراضي فجدوا لنيل هذه الامنية باكثر من امكانكم وها اني سابادر في تاليف رواية بها اعلمكم كيف تثورون وباية الطرق تطلبون حقوقكم المقدسة واوزعها على كل من تهمه معرفة هذه القضية وقوم انه بلامي هذا حتى اشرأبت الي اعناقهم وجحظت في اعينهم كانهم يودون ان يطلعوا على محتويات تلك الرواية المكونة في صدري وكل اشتهى ان يحصل عليها في القريب العاجل وبعد ان طلبنا المساعدة من العزة الالهية طلبنا عقد الاجتماع .

بعض الايضاحات حتى اصدرت منشوراً ووزعته على عموم الفلاحين الثائرين وهذا نصه — « اكتب لكم في الشروط التي دخلت آذانكم مراراً عديدة وقرعت ابواب قلوبكم . فلكي تفوزوا بالحرية عليكم اولاً ان تمتلكوا ما امكنكم من الاراضي والاطيان

ثانياً ان ترفضوا احكام الظلم كل الرفض وتسعوا في تبديد الشوكة المطلقة هذا البريد يقل كتاباتنا الى كل انحاء المملكة ومئات من المطابع تشتغل في سويسرا بلا انقطاع وكذا المراسلات السرية تسير بكل سهولة ولا معارضة فلا تجزعوا من اقل خطر لان اوامر مجلسنا العلي تسير سير النسيم فتقود بقية المجالس في كل روسيا . نعم انه لا يلتئم الا مراراً قليلة في السنة وبواسطة الاصطلاحات السرية المتفق عليها بين اعضاء المجالس نتمكن من تنفيذ اوامرنا واراء افكارنا في اي وقت اردنا . الى الفلاحين ومجموع الفعلة الذين يجب ون الوقوف اوفياً في الاكواخ غير خائفين الاخطار المحدقة بهم قول « الثورة العمومية هي جل ما نقصد وهذا وقتها قد اقترنت الحرب الروسية اليابانية التي اوزارها واثرت تاثيراً مراً لم يجلبه الروسيون من ذي قبل . الى الاستمئة والاربعة والستين

الف نفس التي هلكت في الحرب العديمة النفع نضيف مئة الف حتى يعم المصاب كل عائلة روسية وحتى يندب الاب ولده والام ابنتها والاخ اخاه والعروس حبيبها حينئذ تصرخ الارملة مئة الف اللعنة بالطاغين التي حولها وتقوم لطلب الحرية.

من الاسلحة التي هي اكثر فتكا بالاستبداد تطلق بنادق الجند على الشعب اثناء الفتنة السابقة؟ ذلك لان اكثر افراد الجند حتى القواد من اعضاء الفتنة قبلوا جهدهم في مساعدتها. اسلحة؟ نعم وفوق ذلك عندنا رجال مفكرون لان ارجال المهذبين وارباب الصنائع الحكماء قادوا الثوريين المشتاقين الى ان دنا الاجل المضروب وفي كل المجامع يوجد مئات من الخطباء الذين يثيرون العواطف ويحركون النفوس لايقاد جذوة الثورة وفي السنة الاخيرة لسبب الاضطراب في قطاع الطرق ٣٠٠٠ ، ٤٠٠٠ عطل يدابون ليلا نهاراً في اوقات الشغل والراحة في النوم واليقظة في شتى مبادئ الحرية وخلاصة كل اعمالهم تدور على محور هذه الالفاظ المقدسة: حرية مساواة. عدالة

كانت السيدة بريشكوفسكا تحيي الآمال وتظهر علامات الظفر في كل مقالة تنشرها او عمل تبديه في سبيل الحرية وهما قالته في هذا الصدد: «آمالنا تحقق على ممر الأيام لان ما بلغته روسيا اثناء العشرين سنة الاخيرة من الرقي والاستنارة لم يكن في الحسبان. داخلية البلاد قد انقلبت باسرها. دماء نخبة بنيها التي اهرقت يوماً بعد يوم قد دخلت شرايين الشعب قطرة قطرة واثرت في ادمغتهم واعصابهم فاضرمت جذوة الثورة في قلوبهم حتى قاموا يقتلون في سبيل حقوقهم وهم الملك في سيبيريا يرى الناظر جماعة من الشبان والشابات المتهذبين محاطين بمئات الوف من الفعلة والفلاحين من كل الاجناس والملل الموجودة في روسيا يسامون انواع العذاب هؤلاء اصبحوا شغل الروسيين الشاغل

ورغماً عن ضغط الحكم الاستبدادي المطلق تسنى لهما ان يبحثوا في احوال مدينتهم وشؤونهم الاجتماعية ويقابلوها مع احوال مدينة من يجاورهم من الامم الاوربية الراقية وكان لسان حالهم يردد هذه الكلمات ما اغزر الدماء التي سفكت في سبيلك ايتها الحرية وما اغلى النفوس واعظم الثمن الذي دفعناه للحصول عليك فما اعزك لدينا واعزك عنا . . . .

ولكن لا تذعروا ايها المواطنون الاحرار ولا يروعكم هول المسلك بل قوموا بروح المساواة الواحد وادفعوا انفسكم الثمينة في سبيل الحرية ولا ترجعوا من جهادكم ما لم تهيئوا لبلادكم مكاناً في دورة المجد واعلموا ان لنا قوة تحميها اذا بدا لخطور فقد دنا الوقت الذي فيه تشاطر الامم الاوروبية رقيها ومدنيتها . فمن وسط هزيم المدافع اتمانكة باخوانكم في الشرق الاقصى ودخان التقدمات المتصاعد نحو السما تسمعون اصوات اخوانكم تردد هذه الكلمات

الحياة بالحرية « السعادة بالمساواة » الشرف بالعدالة

هذا ما فعلته رشكوفاسكا الروسية فهل يوجد بين فياتنا نظيرها يجرّ ان عقول اخواتهن من ربقة الاوهام والتقليد ويريين رجالاً اشداء مهذبين يشد بهم أزر الوطن . أنظرن الى اقدام رشكوفاسكا وتعلمن

حمص عبدالله نادر

---

سلب الرجال عقلهم من النساء واعتقدوا انهن اعوان ابليس . فلا تسمع الا ذماً لخصائص وتنقيصاً لعقولهن وتحذيراً من مكرهن . ولما لا يرى النساء الآن من هذه الصفات . ولكن أرى ان التبعة ليست عليهن . بل على الرجال

« فاسم بك امين »